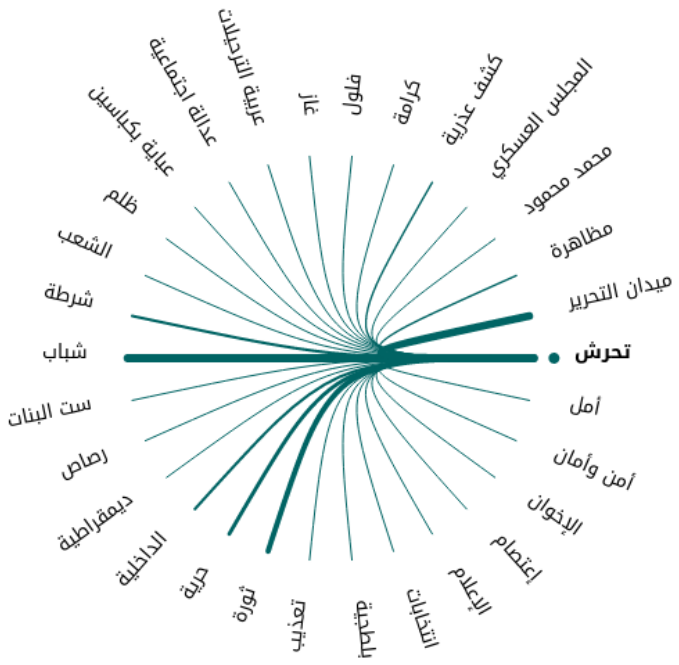

اول مرة اتعرضت للتحرش كنت في اعدادي كده وبروح بيتنا مشي... ممكن في ابتدائي كمان. ورحت للراجل بتاع الشرطة: «في واحد مسكني مش عارفة مين!» قعدت اعيط يومها. وبعدها بقيت بخاف وأنا ماشية في الشارع... كتير. يعني... الشارع بقى حاجة مرعبة فشخ.

التحرش ده موجود من زمان، من زمان والتحرش موجود. البنات بتمشي في الشارع وفي ولاد بيتحرشوا بيهم.

التحرش عموما يعني في مصر موجود من زمان ومن وأنا صغير يعني. وأنا اعرفه، بشوفه بيحصل. أنا أمي بتحكيلي إن هما في الاوتوبيسات كانوا بيستخدموا الدبوس... الكلام دوت في السبعينات.

عموما التحرش موجود في الجنس البشري كله: الرجالة والستات. في ستات بيتحرشوا بالرجالة وفي الرجالة بالستات. عامتاً على الجنس البشري كله، في العالم كله.

التحرش في مجتمعنا له كذا اسم وله كذا مصطلح: في التحرش اللي بيتحرش جنسي وفي التحرش البصري، في التحرش اللفظي.

من سنين طويلة أوي أو من كذا سنة، قبل ما يبدأ ينتشر اللفظ ويتداول كتير كان التحرش اللي هو باللمس: لمس الشخص لجسد الفتاة. لكن تطور المفهوم ده بعد كده إنه حتى مجرد النظرة، مجرد الكلمة، المعاكسة العادية اللي طول عمرنا متعودين عليها من زمان جدا جدا... المعاكسة العادية اللي طول الوقت احنا بنسمعها في الشوارع... دي تحرش. بتعتبر دي داخلة في نطاق التحرش.

وفي كمان نوع من التحرش مفيش حد خالص بيتكلم عنه... تحرش الستات بالرجالة أو بالولاد في الاوتوبيسات العامة... بس هو ضئيل جدا... وقررنا إننا نركز على تحرش الولاد بالبنات. بس موجود...

عندنا كذا نوع يعني. بس هو في مصر عموما منتشر لإن الجهل عندنا زيادة.

التحرش اثبتلي قد إيه الناس... قد إيه احنا عندنا مشكلة كشعب، يعني كبلد.

دي بالنسبالي كلمة ملغية من القانون. التحرش ده لأ، متذكرهاش. لو بنت مش عايزة حد يتحرش بيها، هتعرف تخلي محدش يتحرش بيها. أنا عن نفسي، لو أنا بنت ولابس لبس محترم وواخد طريق محترم، عمر ما حد هيقربلي. خلي الأب كده يبص لبنته ويبص لمراته قبل ما تنزل... يخلي في حد هيبصلها ولا محدش هيبصلها. يبقى إنت متلومش على الرجالة! متلومش عليا أنا لما امشي الاقي واحدة... يعني سوري يعني... لابسة اللي إنت بتقولك «اتحرش بيا».

هل أنا عارف فعلا احساس البنت في مصر عايشة إزاي؟ في وقت ما من حياتي كنت يعني بخاف من الناس. فكان بيبقى عندي نوع من أنواع الرهاب... يعني الخوف أو الفوبيا أو كده... من التعامل المباشر مع البني آدمين. ولكن كبرت والواحد شخصيته دخل الدنيا واتكسر وقام وبتاع... فماشي. ده بقت ذكرى بالنسبالي. ولكن بقى احساس إن ناس لغاية دلوقتي... يعني واحدة بنت تعيش، غالبا كل يوم، حاجة زي كده... الخوف اللي هو مستتر، اللي هو مفهوش شك، ولكن جواك في حاجة خايفة، في حاجة مقلقة.

لو بنت اتحرش بيها هي ليه بتخاف تروح عشان تقول إن هي اتحرش بيها أو تتكسف تقول؟ لإن باباها هيلومها... مامتها هتلومها... الناس اللي حواليها هيلوموها: «لأ... إنتي بسبب لبسك، إنتي بسبب بتمشي غلط، إنتي بتتصرفي غلط في الشارع، إنتي مبتمشيش مظبوطة في الشارع ومبتبصيش قدامك وتمشي في طريقك». فده كله بيحصل عليها لوم. فهي هتستحمل التحرش ده وهتسكت. وفي بنات بعد كده بيتحول معاهم لحاجة نفسية إن يعني: «أنا خايفة». بيتحول جواها لخوف وعدم أمان وبتبقى ماشية في الشارع وهي مرعوبة.

هي مستوى من العنف قذر. في اقصاء حقيقي. إنت تزرع بذرة رعب فعلا في الشخص اللي قدامك. زي فكرة مثلا الشخص اللي ممكن يتعرض لنوع تعذيب أو الراجل اللي اتعرض لتعذيب جنسي مثلا في قسم... حاجة زي كده... في حاجة من جواك تتكسر. ممكن جسديا بيبقى كويس بس من جواه بيبقى... متدمر. إنت مش بتؤذي شخص على المستوى الجسدي: بتضربه، بتكسرله دراعه، وبعد كده خلاص ممكن يروح يتعالج ويبقى كويس بعد كده خلاص. لأ... إنت بتإذيه نفسيا. وهو خلاص شخص معندوش ثقة في اي حاجة بعد كده. وصعب إنه هو يرجع لحالة ما قبل ما حصله حاجة زي كده... وتسعين في المية أو أكتر من تسعين في المية من البنات بتتعرض لحاجة زي كده. عشان كده احنا... نفسيات البنات مش بتبقى في احسن حالاتها. عشان كده تلتربع... أو يعني معظم البنات... مرعوبين. عندهم حالة الخوف، خوف مبرر طبعا.

إنتوا ظالمين... ظالمين الصبيان والله! في بنات كتير بتتحرش بالصبيان. مش أنا بالأخص، أنا بكلمك كفئة عامة.

كان في حادثة شهيرة في التسعينات، حادثة اغتصاب في ميدان العتبة في اوتوبيس، في الزحمة، في وسط الناس. في التسعينات كانوا بيتكلموا عن الحادثة دي على إنها حادثة فردية وإن في علاقة مباشرة ما بين الضحية والجاني، إن هو كان خطيبها ومش عارف إيه وهي فسخت خطوبتها فهو حب يؤذيها. لكن أنا اتخيلت ساعتها إن ممكن ميكونش ما بينهم أي علاقة اصلا وهو الإعلام أو المجتمع بيحاول يخلق علاقة ما عشان هو رافض فكرة إن التحرش موجود. فكان بيحول يلاقي مبررات تحول من القضية العامة لقضية خاصة.

إنتي عندك تحرش وعندك تحرش جماعي وعندك اعتداء جنسي وعندك اغتصاب، ومازلتي بتتناقشي إنه ده بيحصل ولا مبيحصلش؟ ومازلتي بتتناقشي إن إنتي مينفعش تقولي إن واحدة تم اغتصابها وإن هي حصلها حالة تحرش؟

التحرش كان موجود فعلا بس مكانوش الناس بيتكلموا عنه كتير. فاللي حصل أن الناس بقت بتتكلم عنه كتير وديت حاجة، خطوة في إن احنا نقدر نعالج مشكلة زي دي.

كنا زمان قبل الثورة كانت الناس بتتشاكل مع الاولاد أو تصدهم: «بلاش تعملوا الكلام ده عيب»، وبتقدري تاخدي حقك. دلوقتي بقت ظاهرة والناس بتسكت ومحدش بيتكلم. وحتى لما بتمسكي حد متحرش بيفضوكي منه ويقولولك: «خلاص سيبيه... ومتروحيش بيه قسم الشرطة»، وكلام زي ده. الشرطة مبقاش دورها قوي. فأنا لو رحت قلت للشرطة أو للناس، لو قلتلهم: «أنا عايزة اروح الشرطة عشان الموضوع ده»، هيقولولك: «في موضوعات أبدى»، وهما مش فاضيين للكلام ده ومش هيعملوا حاجة.

أكتر وقت كنت بحس فيه بالأمان من التحرش كان في أيام الإعتصامات. كنت بحس أن الرجالة والشباب كانوا بيبقوا عاملين زي السور كده حوالين الستات بحيث إن هما يتسامروا براحتهم وفي نفس الوقت ميحصلهمش اي مضايقة، اي تحرش من اي حد مش محترم. كانوا بيحترموا أوي البنت... كانوا بيحترموا أوي الست إنه دي فوق راسهم ولازم يحموها. لو الست معدية يوسعولها، ده طبعا مينلاقيهوش في الشارع.

في فئات شبابية، هادفة، كانت بتنزل من أول الثورة ببناتها وشبابها. كلهم شباب، تحت بند شباب. مكانش في تفرقة كتير ما بين بنت وولد وكان كل واحد عارف دوره. والبنت عارفة دورها في الاعاشة، وفي الاغاثة الطبية، وفي تأمين البوابات. كان في تكامل ادوار. وكانت البنت بتهتف زي الولد، مكانش في فرق. وكانت البنت بتتقتل زي الولد، مفيش فرق. فكان في سمو... سمو روحي وأخلاقي للهدف اللي إنتي بتشتغلي عليه. اللي هو دولة يسودها العدالة وعدم التمييز والحرية والمساواة، وكل القيم الجميلة النبيلة اللي الشباب حلموا بيها.

في التمانتاشر يوم، مكانش في حد بيتحرش، وكان الشباب قاعدين مع البنات والدنيا كانت زي الفل. الناس كلها كانت محترمة.

في ميدان التحرير أيام الثورة، كان التحرش مش موجود ليه؟ لإن كانت البنت اللي معانا في الميدان، بنعاملها كإنها اختنا... أو اخونا، مش اختنا.

لما بعد الثورة وكانوا عايزين الناس بقى ترجع لبيوتها تاني ومحدش يطلع بقى الميدان وكلام من ده فكانت مقصودة إنه تطلع ناس يتحرشوا بقى بالبنات عشان البنات تخاف على نفسها ومتنزلش. ودي حاجة مقصودة يعني.

التحرش ده حاجة مصرية قديمة وكل حاجة، بس في اوقات كانت التحرش بيبقى ممنهج عشان يبقى حاجة سياسية. ممكن مثلا انتخابات ٢٠١٠، لما أول مرة، أول يوم نزلت البنات في الانتخابات، راحوا مضروبين من الرجالة وحصل مشكلة ضخمة. إزاي الرجالة ينزلوا يضربوا البنات ويقلعوهم ومعرفش إيه! فقاموا اليوم اللي بعده نزلّوهم بنات بلطجية. بنات بينزلوا يقلعوهم ويضربوهم ويتحرشوا بيهم. عادي خالص. حصل في كذا موقف: في وقت... اسمه إيه... المجلس العسكري، محمد محمود وحصل في وقت الإخوان. فهو وصل لحاجة ممكن بتستخدم عادي. هو جزء من طبيعتنا كمصريين.

بمعنى اصح، دي كانت لعبة هما بيلعبوها على الشعب، عشان خاطر إن هما يضحكوا على الناس. يقولك: «ناس كانت نازلة تتحرش ببنات»، يعني مش شرط يكون بنات، يعني بيتحرش بأي حد... عيلة صغيرة. المهم إن هما كانوا عايزين يبوظوا اليوم على الناس... فرحة الناس.

قد إيه الميدان اتغير. قد إيه كان مكان أنا عشت فيه وكلها كانت حاجات بوستف: كميونتي، شعب،

جدعنة، خوف... فجأة الميدان تحول الى مكان يخوف، مكان يزعل. وفجأة بقى، التحرش ده بقى يعني حاجة زي قنابل الغاز بقى حاجة بتستعمل علشان تخوفنا، علشان توقفنا، علشان تبعدنا. يعني إنتي قبل كده بتترمي قنبلة غاز كلنا بنجري: راجل، ست، عيل، شيخ، مسيحي، واتافر... كلنا بنجري. لكن إنتي دلوقتي بقيتي إنتي بس، عشان عندك بزاز وطيز وشعر، عشان بس عندك vagina، بس. العنف ده عليكي إنتي بس.

الميدان نفسه كان غير... كنت قلقانة ومش مستريحة، عكس بقى كل الحاجات الحلوة اللي كنت بحبها في الميدان، مكنتش حاسة ولا حاجة منها. وبكره إنه هو ده الذكريات الأخيرة اللي عندي للميدان. يعني دلوقتي يقت زي... زي... عارفة لما تاكلي اكلة حلوة أوي وآخر قضمة بتبقى حاجة وحشة؟

فكرة التجمعات الكبيرة: التحرش كان حاجة اساسية بتحصل فيها. كان في حادثة شهيرة جدا اللي حصلت في السينما في العيد، قبل الثورة بسنة أو سنتين. وده كان بيحصل دايما في التجمعات.

من بعد ما عمرو مصطفى وطلعت زكريا والناس اللي زيهم اتكلموا وقالوا إن اللي في ميدان التحرير دول عيال بيمارسوا الجنس، فمن هنا العيال اللي هما اتقال عليهم إيه دلوقتي... العيال السيس، العيال السرسجية، اللي هما العيال الشنيبة. نزلوا وقالوا: «طب ما في تحرش والدنيا زي الفل». وعندهم كبت جنسي اساسا من البلد، من اللي بيحصل في البلد، ايا كان بقى من السبكي ولا اي حد من الافلام اللي بينزلوها، افلام الوسخة اللي بينزلوها دي. فالشباب كان عنده كبت جنسي، نزلوا، قالوا «احنا هننزل ميدان التحرير بما إنه في تحرش وهننزل المناطق... الاماكن اللي بيبقى فيها تجمع الناس وهنتحرش ومحدش هيتكلم بينا».

التحرش حاصل لدرجة إنه حتى العسكري اللي واقف بيأمن المظاهرة أو بيحرس الميدان أو أي حاجة، لو بنت معدية عليه بيعاكسها.

في فرق ما بين التظاهرات اللي كانت بتنزل وفي فرق ما بين تظاهرات دلوقتي. الفرق إن معظم الفئات اللي بتنزل: فئات مستدعية، تم استدعائها عن طريق التلفزيون، يتم استدعائها عن طريق الفلول بمكبرات الصوت اللي بتنزل تمر الشوارع وتحسس الناس إن في كرنفالات موجودة في التحرير. في حين بنت نازلة، نازلة احتفال، فبالتالي مهتمية بلبسها ومهتمية بمظهرها ومهتمية بشكلها. نيجي بقى للحتة اللي هي بتاعة أن التحرش أصلا موجود في ثقافة المصريين عموما... ما هو ده فيروس. دخل في مكان زي ده، لقى بنات بترقص بمنتهى ال... يعني كإنهم سافرات بيرقصوا... والعملية عادية جدا... فطبعا الموضوع سهل بالنسباله إن هو يبتدي يتحرش بلسانه وبعدين يتحرش بجوارحه وبعدين يتحرش بإيديه وبعدين يتحرش بعينيه. فالتحرش طبعا بييجي من عدمه... في التظاهرات... من جدية ما يحدث.

هما متخيلين إن كل بنت قاعدة في بيتها اثناء التجمعات أو اثناء التظاهرات فهي قاعدة في البيت فهي آمنة، مبيحصلهاش تحرش. بس هو دي حاجة مبتحصلش خالص! يعني دلوقتي مفيش تجمعات، هل الفعل ده اختفى؟ هو حاصل.

متخيلين إنه الميدان ده عبارة عن كيان بره مصر، اتجمعوا فيه كائنات غريبة جدا ملهاش دعوة بأي حاجة؟ وإنه الميدان ده ناس بوهيمية نازلة فبتعمل حاجات غلط فالمفروض إنه اي حد ينزل يستحمل؟ يستحمل تحرش، يستحمل ضرب، يستحمل قتل، يستحمل اي حاجة. وده الكلام اللي كان بيتقال: إنه هي «إيه اللي وداها هناك؟» تستاهل. يعني «إيه اللي نزلها الميدان؟» فهي تستاهل إنه هي يتحرشوا بيها. «إيه اللي نزله هناك؟» يستاهل يتضرب بالرصاص. «إيه اللي نزله هناك؟» يستاهل يتمسك ويتضرب ويتعذب.

احنا أي مشكلة بتحصل في المجتمع دلوقتي بنتعامل معاها بشكل خاطئ. مشكلة التحرش زي مشكلة المخدرات، زي أي مشكلة في المجتمع بتاعنا... بنتعامل معاها بشكل سيئ. الإعلام حتى بيتعامل معاها بشكل خاطئ.

يعني مثلا في واقعة بتاعت البنت اللي اتضربت في إعتصام مجلس الوزراء. بغض النظر عن الواقعة ذاتها، المبررات اللي اتقالت والكلام اللي اتقال والتعامل مع الموقف ده كان شيء سيئ جدا. طلع حتى المشايخ اللي المفترض إن هما رجال دين واتكلموا ساعتها إن... سابوا الوضع نفسه إن بنت اتضربت... واتكلموا في: «إيه اللي وداها وإيه اللي جابها، ولابسة إيه؟» ومش عارف إيه. فطبعا تناولوا الموضوع بشكل خاطئ جدا. إنت في مجتمع فيه نسبة جهل مش قليلة، فالناس لما بتتكلم على حاجة زي كده: «إيه اللي ودا البنت»، فدي مبرر. إنت كده... إنت كده كأنك بتشجعه إنه يحصل حاجة زي كده!

لازم يبقى في صراحة... الصراحة. هل المشكلة دي فعلا بسبب أن البنت بتلبس مش عارف إيه ولا بسبب أن الولد متربّاش ولا السبب هما الاتنين بيشتركوا في الموضوع؟

التحرش ده أنا في وجهة نظري مش عيب من الولد ولا عيب من البنت. هو أصلا أنا قاعد عاطل! عاوزني أعمل إيه؟ يا إما هسرق، يا إما هنصب، يا إما هشرب، يا إما هتحرش، يا إما هتراخم على خلق الله.

القصة قصة إن الثورة تغير، تغير حالة الشباب. يبقى ليهم اهتمامات، يبقى ليهم شغل بيشتغلوا وفي... إن هما ميبقوش عاطلين، إن هما يبقى عندهم أمل إن هما هيتجوزوا. ميبقاش الشاب عارف إن هو مفيش أمل إنه ولا هيتجوز ولا هيعمل أسرة ولا هيعمل أي حاجة في حياته، فهو بيتحرش بقى! لأ... القصة إن هو لازم تبقى في ثورة... ثورة. زي ما قلنا في الأول: عيش، حرية، عدالة اجتماعية. لما تبقى الحاجات دي موجودة وتتحقق مش هيبقى في بقى الحاجات اللي احنا بنشوفها دي. مش هيبقى في تحرش.

«الشباب تعبان»، «الشباب تعبان»، هي دايما نفس الكلام اللي بتسمعيه كل مرة. مبتسمعيش غيره يعني، وبرضه البنت هي برضه دايما السبب.

أنا شايف إن دور غياب القانون، ده سبب من أسباب التحرش. لإن القانون بيلزمك إنك تجيب اتنين شهود وهكذا... معنى كده لو واحد اتحرش ببنت وهو ماشي بيها في الشارع لوحدها، عادي مفيش أي مشكلة خالص. وطبعا غياب الأمن، طبعا كل اللي موجود ده دلوقتي مجرد شو مش أكتر.

مفيش قانون صريح ممكن يجرم المتحرش. هو يمكن... أنا عرفت إنه في قانون اتوجد، أو سن، سن أخيرا يعني... بس للأسف كمان من خلال كلامي مع المحامي إنه مش بيتطبق.

المتحرش ده، يعني هو أصلا إيه يعني... هو عبارة عن راجل اهبل، فاضي، قاعد مع صحابه زهقانين مثلا. هو حد بيفرض سلطته عليكي أو قوته عليكي. بمعنى إيه... إن إنت مثلا لو هتتحرش أكتر ببنت عاملة إزاي؟ واحدة خايفة منك، واحدة بتعمل حاجة يحطها في موقف ضعيف: يعني لو بنت لابسة قصير ولا حاجة كده شاذة عن المجتمع، فالمجتمع أصلا بيبصلها نظرة سخيفة، فهو بيعتقد إن هي في مكانة اقل.

التحرش بالنسبالي مش هينتهي في مصر غير لما يبقى في رجالة ويبقى الرجالة دي عندها نخوة ورجولة. ويبقى مش لازم إن ما دام حد معرفوش أو إن أنا حد مليش صلة بي إن أنا يبقى مباح بالنسبالي... أو إن أنا اتفرج عليه... أو إن أنا ألمسه.

شوف دلوقتي يا عم، مبقاش في حتى إني اسمع كلام ابويا عشان هو ابويا... يعني بيشتموا ابوهم،

بيشتموا امهم. مبقاش حد قريب من ربنا، بالذات لما يكون الأب والأم كده. لما يكون الأب ميعرفش ربنا ومبيصليش الفرض وهو قاعد على القهوة ولا بيلعب مع ده ولا بيتكلم مع ده ولا بيعمل مع دي... شوف كده الواد يعني هيطلع زي مين؟ لازم يطلع زي أبوه.

طبعا الاخلاق مش على الولاد بس... على الولاد والبنات. يعني بتشوف لبس زبالة دلوقتي، بتشوف حاجات يعني لا تطاق بجد! يعني إنت... والله بقرف من المنظر اللي أنا بشوفه. حاجة بجد زبالة يعني... بس ربنا يهديهم هما... ربنا يهدينا أولاد وأهاليهم ويهدي الشباب دي كلها، يقربهم منه. متهيألي لو الشباب دي ابتدت تنتبه لربنا... يتكسف والله يعمل حاجة زي كده، يتكسف. ربنا يهدينا ويهديهم.

الناس فهمت الحرية غلط. في شعراية... في شعراية بين الحرية وبين الوساخة وقلة الأدب. أنا عايز الناس تفهم الموضوع ده. يعني مثلا واحدة تقول: «حرية شخصية إن أنا البس فيزون أو ليجينج والبس تي شيرت»، تي شيرت بيبقى فوق السرة تقريبا! دي كانت واحدة أساسا كانت بتبقى ماشية محترمة، خايفة حد يتكلم عليها. لكن بعد الثورة الحريات اتفهمت غلط خالص. وعلى فكرة التحرش جه من هنا، التحرش زاد من هنا.

المفروض نعيش في البلد بحرية ونلبس اللي احنا عايزينه! مبقاش أنا ماشية في الشارع لابسة لبس طويل وخايفة، وبرضه لابسة لبس قصير وخايفة، لابسة طرحة وخايفة، من غير طرحة وخايفة. يبقى أنا كده منزلش من بيتي احسن. افضل قاعدة في البيت. ومنزلش مظاهرات ومطالبش بحقي عشان خاطر الشباب بتتحرش بيا. احنا بنطالب إن احنا نمشي في الشارع بحريتنا، زي ما الشباب واخدة حريتها في الشارع، احنا كمان ناخد حريتنا. نلبس اللي احنا عاوزينه، ونمشي باللي احنا عاوزينه، وتبقى الشباب بتحافظ علينا، عشان احنا في بلد المفروض إن هي ديموقراطية.

ده كله بالنسبالي أنا بيساوي حاجة واحدة: إن اللي بيحصل دلوقتي، كله عشان حاجة اسمها دولة، ملوش علاقة بإن في بني آدمين عايشين بأضرار نفسية قدامهم عشر سنين عشان يتعافوا منها. فأنا، بالمصطلحات، بالكلمات، بالعلاقات الشخصية للأمور، بالعلاقات العامة بيها، مش قادرة افهم إزاي إنه في علاقة ما بين ده وإنه في دولة ولا مفيش دولة.

احنا لازم نعرف إن التحرش ده ظاهرة متعلقة بكل المشاكل اللي في مجتمعنا: متعلقة بتربية بتاعتنا، متعلقة بالظروف الإقتصادية، بالظروف الإجتماعية، متعلقة بنظام التعليم بتاعنا، متعلقة بكل شيء. ظاهرة التحرش زيها زي أي ظاهرة سيئة في المجتمع المصري إن هي مينفعش تفصلها عن أي مشكلة تانية. مبتكلمش دلوقتي عن مين السبب في التحرش... البنت ولا الولد... بس بتكلم إنها جزء من المشاكل بتاعتنا كلها مينفعش تتفصل.

الأيام اللي فاتت عملوا القوانين اللي هي مش عارف... قوانين التحرش. شيء جميل يعني. بس أنا عايز مجتمعنا يوصل لمرحلة من الرقي إن أنا من نفسي معملش الأخطاء دية. طبعا احنا مش في الجنة... احنا في الأرض وكل حاجة... بس احنا عايزين نوصل لمرحلة إن احنا من نفسنا منعملش، فاهمني؟